كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدمياط الجديدة
المجلة العلمية
العدد التاسع ٢٠٢١م

صورة سيف الدولة الحمداني في شعر ابن نباتة السعدي

دراسة تحليلية

دكتور
جمال عبد الحميد زاهر
أستاذ الأدب العربي المساعد
كلية الآداب جامعة قناة السويس

الملخص باللغة العربية والإنـجليزية

صورة سيف الدولة الحمداني في شعر ابن نباتة السعدي.

اسم الباحث جمال عبد الحميد زاهر.

القسم: اللغة العربية، الكلية: الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة: قناة السويس، الدولة: جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: gamalzaher٩٣٢@yahoo. com

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على صورة الأمير سيف الدولة الحمداني كما صورها الشاعر العباسي ابن نباتة السعدي، ومن أجل تحقيق هذا الهدف وضع البحث عددا من التساؤلات منها: ما أبرز الصفات التي لفتت نظر ابن نباتة في الأمير الحمداني؟ وكيف عبر عن هذه الصفات؟ وما الأدوات الفنية التي استعان بها لصياغة هذه الصفات؟ وما أبرز السمات الفنية الخاصة التي يتميز بها شعر ابن نباتة في الأمير الحمداني؟

اعتمد البحث المنهج الوصفي، وتوصل إلى عدد من النتائج أبرزها: أن معاني ابن نباتة السعدي التي صور بها ممدوحه الحمداني دارت حول الأمير وصفاته، وحروبه وبطولاته، كما صورت كرمه وجوده، أدبه ونقده، حسنه وجماله، حسبه ونسبه، وسيطرت على بعض معانيه مبالغة لا سقف لها، حيث جعل سيف الدولة يبلغ الغاية من كل شيء، حتى أضحى يصحب الدنيا بلا أمل يأمله، أو هدف يسعى إلى بلوغه.

الكلمات المفتاحية: سيف الدولة الحمداني – ابن نباتة السعدي – شعر.

The Image of Saif Al-Dawla Al-Hamdani in the Poetry of Ibn Nobatah Al-Saadi

University: ،College: Arts and Humanities ،Department: Arabic Language
State: Arab Republic of Egypt ،Suez Canal
.**E-mail:** gamalzaher٩٣٢@yahoo. com

:**Abstract**
This research aims at identifying the image of Prince Saif Al-Dawla Al-Hamdani as depicted by the Abbasid poet Ibn Nobatah Al-Saadi. How did he express these qualities? What are the technical tools he used to formulate these qualities? What are the most prominent special artistic features of Ibn Nobata's poetry in Prince Al-Hamdani?
and reached a number of ،The research adopted the descriptive approach which ،most notably: The meanings of Ibn Nobatah Al-Saadi ،results revolved around the prince and his ،Mamdouha Al-Hamdani portrayed ،his presence ،as depicted his generosity ،his wars and heroisms ،qualities his calculus and ،his goodness and beauty ،his literature and criticism whereby ،and some of his meanings were exaggerated. It has a roof ،lineage until it ،the sword of the state was made to reach the end of everything or a goal that it seeks ،became accompanied by the world without hope for it to reach.

.**key words:** Saif Al-Dawla Al-Hamdani - Ibn Nobatah Al-Saadi – Poetry

مقدمة:

لا مراء في أن الأمير سيف الدولة الحمداني، أو سيف الدولة العباسية - كما لقبه الخليفة المتقي- كان يحظى بمكانة عالية ومنزلة رفيعة إبان عصر الدولة العباسية، فعلى المستوى القومي هو بطل عربي يقف في وجه الروم البيزنطيين، وعلى المستوى الديني هو بطل مسلم يقف في وجه الروم الصليبيين، وما أشبه مكانته لدى خلفاء الدولة العباسية بمكانة الحجاج بن يوسف لدى خلفاء الدولة الأموية.

وليس سيف الدولة وحده من حظي بعلو المرتبة وسمو المكانة، بل شاركه في هذا الأمر بنو حمدان الذين كانوا "ملوكا وأمراء أوجههم للصباحة وألسنتهم للفصاحة وأيديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وواسطة قلادتهم، وكان غرة الزمان وعماد الإسلام، ومن به سداد الثغور وسداد الأمور"[١].

لذلك أقبل عليه الشعراء من كل حدب وصوب ينشرون أفضاله ومآثره، ويصورون أمجاده ومفاخره، في قصائد ومطولات، بلغت الآلاف من الأبيات، " وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب وأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت"[٢]، ومن بين أصحاب هذه المدائح يبرز اسم ابن نباتة السعدي الذي نفحه بعدة قصائد راح يجسد فيها آمال العرب في فارسهم رمز العروبة والتوحيد.

---

[١] الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر- حققه وضبطه وشرحه محمد محيي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية لبنان- الأولى ٢٠١٢م-١/٢٠.

[٢] يتيمة الدهر ١/٢١.

وقد كان سيف الدولة وعصره وبلاطه محورا لعديد من الدراسات منها: دراسة د. مصطفى الشكعة: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين[١]، ودراسة سامي الكيالي: سيف الدولة وعصر الحمدانيين[٢]، ودراسة د. حمدان عبد المجيد الكبيسي: القائد سيف الدولة الحمداني[٣]، ودراسة عطية صالح الربيقي: الشعر السياسي في بلاط سيف الدولة[٤].

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١- بيان المكانة الأدبية الكبيرة التي حظي بها ابن نباتة السعدي في بلاط سيف الدولة الحمداني.

٢- الكشف عن رؤية ابن نباتة السعدي لسيف الدولة، وأبرز الصفات التي لفتت نظره في الأمير الحمداني.

٣- إبراز أهم الأدوات الفنية التي استعان بها ابن نباتة لصياغة هذه الصفات.

الدراسات السابقة:

أما أبرز الدراسات السابقة التي دارت حول ابن نباتة وشعره فهي:

١- محمد غلاب مهدي: الصورة الفنية في شعر ابن نباته السعدي- ماجستير- كلية الآداب - جامعة القاهرة -١٩٩٠م.

---

[١] مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٥٨م.

[٢] دار المعارف – ١٩٥٩م.

[٣] دار الشئون الثقافية العامة – بغداد – ١٩٨٩م.

[٤] مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد – ع١٢ لسنة ٢٠١٨م.

٢- نصر عوض عبد الحق- التشكيل الموسيقي في شعر ابن نباته السعدي- مجلة كلية الآداب جامعة المنصورة - ع ٤٩- ج١ – ٢٠١١م.

٣- يوسف عزاز: رثاء الأم بين ابن نباتة السعدي والشريف الرضي.. دراسة تحليلية موازنة- حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية -ع ٣٢- مايو٢٠١٧ م.

٤- ذكرى محي الدين حميد: الحكمة في شعر ابن نباته السعدي- مجلة التراث العلمي العربي- جامعة بغداد- ع٣٩ - ٢٠١٨م.

٥- عودة محمد عايد: التناص القرآني في شعر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة التميمي السعدي - مجلة جامعة الحسين بن طلال للبحوث- الأردن- مج٧، ع١- ٢٠٢١م.

تساؤلات البحث:

يتطلع البحث إلى أن يجيب عن تساؤلات عدة منها:

١- ما أبرز الصفات التي لفتت نظر ابن نباتة في الأمير الحمداني؟

٢- كيف عبر عن هذه الصفات؟

٣- ما الأدوات الفنية التي استعان بها لصياغة هذه الصفات؟

٤- ما أبرز السمات الفنية الخاصة التي يتميز بها شعر الشاعر في الأمير الحمداني؟

منهج البحث: يخضع البحث لمعطيات المنهج الوصفي، ويستفيد من آلية التحليل.

** ابن نباتة السعدي ومكانته الأدبية:

هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن نباتة بن حميد بن نباتة بن الحجاج بن مطر التميمي السعدي، ولد ببغداد سنة ٣٢٧هـ، وفيها نشأ وبها تعلم، درس اللغة العربية على علمائها، عاش حياته أخا سفر متنقلا في البلاد، مادحا الملوك والخلفاء، والأعيان والوزراء، حيث زار الري ومدح ابن العميد، وفي بغداد مدح عضد الدولة البويهي، واتصل بسيف الدولة في حلب، وعنده ألقى عصا التسيار، واطمأنت به الدار، فقال فيه غرُّ القصائد ونخب المدائح، ناشرا فضائله ومستمطرا نوائله.

أبدع ابن نباتة ما يقرب من ثلاثمائة قصيدة، بلغ عدد أبياتها ما يربو على سبعة آلاف بيت، وعلى الرغم من أن المدح يعد صفوة إنتاجه وحبة القلادة من شعره، إلا أننا لا نعدم في ديوانه العتاب الجميل، والفخر الجليل، والنسيب الرقيق، والشكوى من الصديق والرفيق، وهو ابن قوله[١]:

ومن لم يمت بالسيفِ مات بغيرِهِ تنوعتِ الأسبابُ والداءُ واحدُ

وتفيض كتب الأدب بالإشادة به والثناء عليه، يراه الثعالبي: من فحول شعراء عصره وآحادهم وصدور مجيديهم وأفرادهم الذين أخذوا برقاب القوافي، وملكوا رق المعاني، وشعره مع قرب لفظه بعيد المرام، مستمر النظام، يشتمل على غرر من حر الكلام، كقطع الروض غب القطر، وفقر كالغنى بعد الفقر، وبدائع أحسن من مطالع الأنوار وعهد الشباب، وأرق من نسيم الأسحار وشكوى الأحباب[٢].

---

[١] ابن نباته السعدي: ديوان - دراسة وتحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي- وزارة الإعلام- بغداد - ١٩٧٧م- ٥٦٧/٢، هذه رواية الديوان، ويروى البيت بروايات أخرى.

[٢] يتيمة الدهر٣٠٢/٢.

أما أبو حيان فيراه شاعر الوقت، حسن الحذو على مثال سكان البادية، لطيف الائتمام بهم، خفيّ المغاص في واديهم، ظاهر الإطلال على ناديهم[١].

وقد عُد ابن نباتة من الشعراء الأفذاذ، ومن أقطابهم، ومن أمراء البيان[٢]، كما عُد شاعرا مجيدا جمع بين حسن السبك وجودة المعنى[٣].

وعندما سمع سيف الدولة قصيدته التي مطلعها:

تقولُ إنّ كلامي غيرُ مُنْتَحَلِ ولا تُموّلُني شيئا سوى الأمَلِ

قال: أراه- والله- قليل السرقة والانتحال كثير التعويل على فكره[٤].

ولقد بلغ شعر ابن نباتة المشرق والمغرب، وسار بذكره الركبان كل مسير، قال ابن نباتة: كنت يوما قائلا في دهليزي فدُق علي الباب، فقلت: من؟ قال: رجل من أهل المشرق، فقلت: ما حاجتك؟ قال: أنت القائل:

ومن لم يمت بالسيفِ مات بغيرِهِ تعددتِ الأسبابُ والموتُ واحدُ

فقلت: نعم، فقال: أرويه عنك؟ فقلت: نعم، فلما كان آخر النهار دُق علي الباب، فقلت: من؟ قال: رجل من أهل تاهرت من المغرب، فقلت: ما حاجتك؟ قال: أنت القائل:

ومن لم يمت بالسيفِ مات بغيرِهِ تعددتِ الأسبابُ والموتُ واحدُ

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تح إحسان عباس- بيروت- ١٩٩٤م- ٢٩٥/١، الزركليّ: الأَعلام- دار العلم للملايين بيروت- الخامسة عشرة - ٢٠٠٢م- ٤/ ٢٤.

(٢) الجواهري: الفرائد الغوالي على شواهد الأمالي للسيد المرتضى- مطبعة الآداب- ١٩٦٦-٢٦١/٣.

(٣) ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- تح مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية- بيروت- ١٩٩٨م- ٣/ ١٧٥، اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان- دار الكتب العلمية لبنان- الأولى– ١٩٩٧م- ١٣/٣، وفيات الأعيان١/ ٢٩٥.

(٤) الديوان١/٢٠٩.

فقلت: نعم، فقال: أرويه عنك؟ فقلت: نعم، وعجبت كيف وصل شعري إلى المشرق والمغرب[١].

توفي ابن نباتة السعدي ببغداد صباح يوم الأحد ثالث أيام عيد الفطر عام ٤٠٥هـ، ودفن في مقبرة الخيزران في جانب الرصافة من بغداد، ورثاه الشعراء والأدباء، ومنهم مهيار الديلمي الذي رثاه بقصيدة منها قوله[٢]:

حمَلوك لو علمُوا من المحمولُ ... فارتاض معتاصٌ وخفَّ ثقيلُ
واستودعُوا بطنَ الثرى بك هضبةً ... فأقلَّها إن الثرى لحمولُ
هالوا الترابَ على دقيقٍ شخصُهُ ... معنى التراب وقد حواه جليلُ
علمتْ ببيعك أنّ يومَك صفقةٌ ... مغبونةٌ ومن البيوع غُلولُ
ويلُ امّها لا يستقيل عثارَها ... عذرٌ وأين من الحمام مُقِيلُ

---

[١] الصفدي: الوافي بالوفيات- تح أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى- دار إحياء التراث العربي بيروت- الأولى- ٢٠٠٠م- ١٨/ ٣٢٧، وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٥، مفتاح السعادة ١٩٨/١، شذرات الذهب١٧٦/٣، مرآة الجنان١٤/٣.

[٢] وليد الأعظمي: أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران- مكتبة الرقيم بغداد٢٠٠١م- ص٣٧-٣٨.

*** صورة سيف الدولة الحمداني (٣٠٣ - ٣٥٦ هـ):

امتازت شخصية سيف الدولة الحمداني بتعدد مناحي الإبداع، وتنوع مجالات التميز، فنحن أمام أمير مغامر، وبطل محارب، وشاعر ناقد، ما ساعد الشعراء-عامة- وابن نباتة -خاصة- على تصويره من زوايا مختلفة، وجوانب متعددة، وقد تمحورت أشعار ابن نباتة السعدي في سيف الدولة الحمداني حول المحاور الآتية:

١- سيف الدولة الأمير:

من صفات الأمير سيف الدولة الحمداني التي لفتت نظر ابن نباتة (قوة تحمله) للأمور الجسيمات، وصبره على الأحداث والملمات؛ فلم يمنعه فقد ولده، ورحيل فلذة كبده -أبي المكارم محمد- وما تبعه من حزن شديد وألم عتيد، عن تحمل مسئوليته، والنهوض بأعباء إمارته، وها هو ابن نباتة يعجب من صبر سيف الدولة على هذه المصيبة وتلك الكارثة، الجديرة بأن يخر أمامها الجبال الشامخة، ويركع في محرابها الصخور الجامدة[1]:

عجبتُ له كيفَ استقلَّ بحزنه ... عليْهِ وقد هدّ الجبالَ الرّواسِيا
ولكنّهُ سيفٌ إذا التبستْ بهِ ... صُروفُ اللّيالي رَدَّهُنّ نَوابِيا

إن تعجب ابن نباتة من قوة تحمل أميره لم يكن تعجبا شكليا أو ظاهريا، وإنما تعبيرًا عن حقائق راسخة وثابتة، ما كان تعبيره عنها في الأبيات السابقة إلا نقلا صادقًا لصورة واقعية، ظهر ذلك في اختياراته المعجمية؛ فجاءت (صروف الليالي) جمعا؛ لتدل على كثرة الملمات التي تحيط به، وشدة ما يواجه، وتعبيره بالفعل (استقل) لما في الاستقلال من الإرادة والرغبة في الانفراد بالحزن دون الجميع، وفي المقابل جاء وصف (الجبال) بـ

[1] الديوان١/ ٣٩٤.

(الرواسي) بعد الفعل (هد) مما يدل على قوة الحزن الذي تحمله نتيجة فقد ولده، ثم يبدأ في البيت التالي بالاستدراك (لكن)، كأنه يراجع تفكيره، ويبرر تعجبه.

إنه أمام سيف الدولة، فلا عجب إذن من الاعتماد على المؤكدات من الجمل والأساليب في تعبيره، بدءًا من تكرار التعجب في البيت الأول بصورتيه؛ الأولى مباشرة من خلال الفعل (عجبت)، والثانية بصورة غير مباشرة من خلال إيحاء الاستفهام (كيفَ استقلَّ بحزنِه عليْهِ وقد هدّ الجبالَ الرّواسِيا). وقد اعتمد ابن نباتة على الماضي من الأفعال (عجبت- استقل- هدّ- التبست- ردَّ)، وكلها أفعال تدل على الثبوت والتحقق لمعناها وحدثها، بالإضافة إلى استخدام (قد) التحقيق، و(إذا) المصدرية، وقد أضاف كل منهما إلى المعنى تأكيدًا وثبوتًا، فضلا عن تقديم الجار والمجرور (به) على الفاعل (صروف الليالي).

وفي سيرة سيف الدولة ما يؤيد (رأفته) بأعدائه فكيف بأنصاره وأحبابه؛ ذكر ابن النديم أن الإخشيد سيّر عسكرًا إلى حلب مع كافور، وكان الأمير سيف الدولة غازيا بأرض الروم فرجع فسار إلى الإخشيدية فلقيهم بالرستن، فحمل سيف الدولة على كافور فانهزم وازدحم أصحابه في جسر الرستن، فوقع في النهر منهم جماعة، ورفع سيف الدولة السيف فأمر غلمانه ألا يقتلوا أحدا منهم وقال: الدم لي والمال لكم فأسر منهم نحو أربعة آلاف من الأمراء وغيرهم واحتوى على جميع سواده ثم أطلق سيف الدولة الأسارى جميعهم فمضوا وشكروا فعله[1]؛ لذلك خاطبه ابن نباتة بقوله:

ألا يا أيُّها الملكُ الرّؤوفُ إلى كم ذا التأمّلُ والوقوفُ

[1] ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب- وضع حواشيه خليل المنصور- دار الكتب العلمية لبنان- الأولى- ١٩٩٦م- ص٦٨.

كذلك اصطنع سيف الدولة بني كلاب وأدناهم، وآمن سربهم؛ فقهروا العرب، وعلت كلمتهم، إلى أن بدت منهم جفوة أحفظته؛ فأسرى إليهم، وأوقع بهم، وملك حرمهم وأموالهم، ثم صفح عنهم وكرم، وجمع الحرم، ووكل بهن الخدم، وأفضل عليهن[١].

وعلى الرغم مما عرف به الأمير الحمداني من رأفة، وما شهر به من حلم، إلا أنه في حال الغضب غير مأمون الجانب، ولا معروف العواقب؛ يغضب غضبة مضرية، ويبطش بطشة جاهلية، ويجهل جهلا تغلبيا، ويخبط خبط عشواء[٢]:

يا دهرُمالكَ لا تَثني يدَ النوبِ إني أخافُ عليْها سورةَ الغَضَبِ
ولا تأمَنَنَّ حليما رمتَ هَضْمَتَه أنْ يركبَ الجهلَ عُريانا بلا قَتَبِ

إن مجرد سماع اسم سيف الدولة جدير أن يبث في القلوب الهلع، وينشر في النفوس الفزع؛ وليس أدل على ما يتمتع به سيف الدولة من (هيبة) من أحداث معركة قلعة (منازجرد) حصن الروم الحصين، وملاذهم الأمين؛ ففي ذلك اليوم جرد سيف الدولة سيفه، وتقدم جيشه، وحاصر القلعة بأبطالها، وأضرم النيران في جنباتها؛ وإذ بجند الروم يتساقطون هلعا، ويفرون فزعا[٣]:

كأنّما قذَفَتها في قُلوبِهُمُ حُصونُهم خيفةَ الأحداثِ والنِقَمِ
تَرْمي مخافتُكَ الحَرّى أجنَّتَها كما اشرأبَّ شَرارُ النارِ بالفَحَمِ
فَما رأوا قبل خيل جئتَ تحملها أرضا تُحمَّلُ بالآسادِ والأجَمِ
ما يصدِمُ السيفُ رأسا من رؤوسهمُ إلاّ تطوّحَ بين الكسرِ والكَهَمِ
شكت إلى الهندِ أيْدي الرومِ بيضهمُ وقد رميت سيوفَ الهندِ بالقمَمِ
تنعى إلى أهْلِ بدْليْسٍ نفوسَهمُ وقد تعلّقَ منها الموتُ بالكَظَمِ

---

[١] يتيمة الدهر ١/ ٢٨.

[٢] الديوان ١/ ٣٩٧، القتب: أكتاف البعير وهو رحله.

[٣] الديوان ١/ ٢٢٨،

في هذه اللوحة يستغل ابن نباتة طاقات علم البيان- لا سيما التشبيه- أحسن استغلال؛ فيربط - في البيت الأول- بين صورة جند الروم وهم- رغبة في النجاة- يرمون بأنفسهم على غير هدى، والشرر المتطاير من النار في كل اتجاه، ويصور حالة (الحرى) وهي ترمي بأجنتها بارتفاع اللهب بالفحم؛ تعبيرا عن هول الموقف، وشدة الرعب، وكانت للمفارقة دلالتها في الأبيات أيضا، سواء في البيت الأول من خلال التعبير بـ (قذَفتها في قُلوبِهمُ حُصونُهم) من جهة؛ فمن قذف ليس العدو، وإنما ما كان مسئولا عن حمايتهم (حُصونُهم)؛ ولم يكن قذفا سطحيا هينا، بل معنويا (في قُلوبِهمُ)، وهو أشد وقعا وأوقع ضررا، ومن خلال جعل الحصون جمعا، من جهة أخرى، للدلالة على قوتها، وجاء البيت الثاني استمرارا لمشهد الرعب في (تَرْمي مخافتكَ الحَرّى أجنَّتَها)، وكأننا أمام مشهد من أهوال يوم القيامة.

وتنوعت وسائل التأكيد وأدواته على المعنى المرام في الأبيات، فالقذف بالفعل الماضي (قذفت) لثبوت الحدث وتحققه، وتأخير الفاعل (حصونهم) وتقديم (في قُلوبِهمُ) تخصيصًا وتوكيدًا، ورمي الحرى لأجنتها بالمضارع استمرار للحدث وتجدد الرمي خاصة مع جعل (الأجنة) جمعا، وها هو المشهد يصل إلى غايته في البيت الأخير من هذه اللوحة؛ فيتعلق الموت بكل أمر وإن كان خافيا مكظوما، والتعبير بالمصدر الكظم (تعلق منها الموت بالكظم) أدل على عموم الموت وشموله لكل جوانب الحياة ظاهرة وباطنة، في لوحة أدت مرامها ومقصودها أبلغ أداء.

ولا يزال ابن نباتة يلح على فكرة (الهيبة) التي يحظى بها سيف الدولة والرعب الذي قذفه الله في قلوب أعدائه ومنافسيه؛ لقد مكنته هذه الهيبة أن ينشر سلطانه على السهل، ويبسط نفوذه على الجبل؛ فخافه القاصي وأطاعه الداني، إنه لم يعد يحتاج إلى السيف في ساحات القتال ليحسم معركة أو يحقق انتصارا، بل يكفي أن يتردد

اسمه في أرض المعركة؛ فذلك كاف لبث الخوف في القلوب، ونشر الفزع في النفوس، فيختار الأعداء الأسر طواعية، مفضلين إياه على القتل[١]:

يا أيُّها الدّهرُإنّ العِيَّ كالخَطَلِ ما دَهْرُنا غيرَسيفِ الدولةِ البِطَلِ
والقولُ يكفي شُجاعا صدرُمنصُلِهِ أعطاهُ طاعةَ أهلِ السّهْلِ والجبلِ
قد كُنتَ تأسرُهُم بالسيفِ مُنصلِتا فصرتَ تأسرُهمْ بالخوفِ والوَجَلِ

إن هيبة سيف الدولة لا تجعل أعداءه يؤثرون- فقط- الأسر على القتل، بل منهم – أيضا- من يحبذون الموت عن لقائه، ويفضلون الهلاك عن قتاله، فما إن يصل إلى أسماعهم اسم سيف الدولة حتى ينتشر الخوف في الجماجم، ويسري الفزع في الرءوس[٢]:

وخوفُكَ في الجَماجِمِ والهَوادي أحدّ من المهنّدةِ الصَّقالِ
تُلاحظُكَ الفوارسُ من بعيدٍ فتختارُ الحِمامَ على القِتالِ
وتأنفُ من نِزالِهُمُ وكانوا يَعُدونَ الشّجاعةَ في النِّزالِ

إن الهيبة التي تغلف شخصية سيف الدولة، والرعب الملازم لاسمه يصنعان بأعدائه ما لا تصنع السيوف[١]:

سيوفك أمضى في النفوس من الردى وخوفك أمضى من سيوفك في العدى

صورة القوة والهيبة صورة متكاملة، واقعيا في أرض المعركة، وتخيليا في النفوس، يعضد بعضها الآخر؛ فلم يقف حد الهيبة عند ساحات المعارك، بل امتد في سيرة سيف الدولة لخيالات النفوس، وخلجات القلوب؛ وما خفي كان أعظم وقعا، وأشد منصلا، فجاءت لوحات ابن بناتة بدقيق التعبير عن تلك الوقائع النفسية ومليحه،

---

[١] الديوان١/ ٢٠٥.

[٢] الديوان١/ ٢٢٣، الهوادي: الأعناق، المهندة: السيوف المصنوعة من حديد الهند، الحمام: الموت.

فغدا أسر أعدائه دون خوض المعارك واستلال المهندة الصقال (فصرتَ تأسرُهمْ بالخوفِ والوَجَلِ)، ولم يجعل الخوف يتملك القلوب والأعضاء فقط، بل امتد ليشمل الجماجم والرقاب (وخوفُكَ في الجَماجِمِ والهَوادي)، لتأتى لوحة النتيجة بالمضارع (تلاحظك) يعقبها (فتختار) بفاء السرعة، مسيرة بالتخيير، لا مخيرة بالتسيير؛ فلا مناص، ولا مفر.

ومن صفات الأمير سيف الدولة مداومة النظر في أمور ولايته، والحرص على مصالح رعيته، والذود عن المسلمين في الداخل، والخوف على الإسلام من أعدائه في الخارج؛ وفي سبيل ذلك فإنه يسهر كثيرا وينام قليلا، يرى لذة النوم داء دويا، ومرضا عصيا، وكيف ينام من شغل نفسه بالمكارم، ووهب روحه للمعالي؛ إن أصحاب الهمم العالية لا ينامون، بل قلوبهم ساهرة لا تنام وعيونهم يقظة لا تغفل[٢]:

فتىً يتجافى لذةَ النومِ جفنُه ... كأنّ لذيذَ النومِ في جَفنهِ قَذَى
ومن سهَرت في المكرُماتِ جُفونُهُ ... رعَى طرْفُهُ في جوّها أنجُمَ العُلا
وليس ينامُ القلبُ والجفْنُ ساهرٌ ... ولا تغمُدُ العينانِ والقلبُ منتضى
ألا إنّ عينَ المرءِ عُنوانُ قَلبهِ ... تُخبّرُعنْ أسْرارِهِ شاءَ أمْ أبى

بدأت صورة ابن بناتة بخبر حُذف مبتدؤه (فتى) تعظيما- من جهة- وإيحاء بنشاطه وقوته- من جهة ثانية- تمهيدا لوصفه بالمضارع (يتجافى)، ولعدم مخالفة فطرة الفاطر، جعل تجافيه لـ (لذةَ النومِ)، وليس للنوم ذاته، مستغلا التشبيه في تأكيد معناه (كأنّ لذيذَ النومِ في جَفنهِ قَذَى)، فجاء البيت التالي يحمل تلك النتيجة الحتمية (رعَى طرْفُهُ

(١) الديوان١/ ٢٤١.
(٢) الديوان١/ ٢٤٢.

في جـوِّها أنجُـمَ العُـلا)، ولـم يكتـف بـذلك، بـل تتعاضـد أجـزاء الجسـم معـا، فالقلـب والجفن خليلان يتعاونان، لا يتخلى أحدهما عن الآخر:

وليس ينامُ القلبُ والجفْنُ ساهرٌ ولا تغمُدُ العينانِ والقلبُ منتضى

ولا شك أن ابن نباتة ينظر هنا إلى قول مروان بن أبي حفصة عن الخليفة المهدي العباسي:

يكونُ غرارا نومهُ منْ حذارِهِ على قبةِ الإسلامِ والخلقُ شاهدُ

ومع كثرة سهره، وقلة نومه فإنه يصحو مع الفجر، وينهض مع الصبح، لا ينتظر متأخرا، ولا يلوي على متقدم، سريع الخطوة، بعيد الهمة، ما يتيح له أن يقيم حيث يشاء، وأن يحل حيث يريد، وأن ينزل أماكن يخشاها الأسود الفواتك، ويهابها الليوث الضواري[1]:

أقامَ على ما بينَ مصرٍ وبصرةٍ مُقاما تَحاماهُ الليوثُ الفَواتِكُ

هذا النشاط وتلك الهمة-كذلك- كفيلان بصون الإمارة الحمدانية، وحماية الخلافة العباسية، وصد الهجمات الرومية:

يا أيّها السيفُ الذي بذُبابِهِ تَحمي الخِلافَةُ ملكَها وتُمارِقُ

لذا كان طبيعيا أن تعلو منزلته، وتسمو مرتبته لدى خلفاء الدولة العباسية، لا سيما (المقتدر) و (الراضي) و (المتقي)، لقد نزل فيهم أسمى منزلا، وحل بينهم أرفع محلا، وبلغ من تكريم المتقي له أن أمر بضرب اسمه على الدراهم والدنانير[2].

---

[1] الديوان١/ ٣٧٦.

[2] أبو الفداء الحموي: المختصر في أخبار البشر- مكتبة المتنبي للطباعة والنشر-١٩٩٨م-٢/ ٨٩.

٢- سيف الدولة المحارب:

لعل من الأمور التي تلفت النظر إلى سيف الدولة القائد المحارب هذه الجرأة التي دفعته إلى أن يغزو الإمبراطورية البيزنطية أكثر من مرة، وكان لا يزال في الخامسة والعشرين من عمره، وكيف أوغل بجيشه المحدود العدد داخل الأراضي البيزنطية؛ فاضطر (الدمستق) أن يخرج إليه على رأس مائتي ألف جندي مجهزين أحسن تجهيز؛ فانتصر عليهم سيف الدولة، وأسر سبعين بطريقا، واستولى على سرير الدمستق وكرسيه[١]، ويسجل ابن نباتة في شعره هذه الوقائع المضيئة من أيام سيف الدولة على الدمستق وجنده[٢]:

ومَلمومَةٍ ظنّ الدِّمُسْتُقُ أنه ... يريكَ بها الموتَ الزّؤامَ ممثّلا
فكان كمَنْ أهدى إلى النارِ أُكلَها ... وكنْتَ كمَنْ راضَ الشّموسَ وذَلّلا
تَركتَهُمُ للقتلِ والخَوفِ عُرْضَةً ... فما يطعمونَ النومَ إلاّ كَلاولا

في سبيل الإشادة بقوة جيش سيف الدولة في مقابل جيش الروم بقيادة (الدمستق)، يصور ابن نباتة جيش الدمستق على كثرة عدده وعظمة عدته (مَلمومَةٍ) ليس لها مكانة تذكر، محتقرا إياه بالتنكير أولا، والبناء للمجهول ثانيا؛ وعلى ذلك، يظهر سوء تقدير القائد البيزنطي لها، فيـ(ظن) أنه يقود (الموت) في حين تأتي المفارقة فيجعل جيش سيف الدولة نارا تهدي إليه ملمومة الدمستق، ولم تقف الصورة هنا، وإنما يمتد

---

[١] د/ مصطفى الشكعة: سيف الدولة الحمداني.. مملكة السيف ودولة الأقلام- الدار المصرية اللبنانية القاهرة- الثالثة - ٢٠٠٠م- ص١٠٩.

[٢] الديوان١/٣٦١-٣٦٢، الملمومة: الكتيبة المجتمعة، الدمستق: بطريق الروم الذي دحره سيف الدولة، أسره هبة الله بن ناصر الدولة بناحية ميافارقين وظل في الأسر حتى مات، الكامل في التاريخ ١٩٩/٨.

المشهد ليصور موقفهم أمام جيش سيف الدولة، الذي تركهم للموت والخوف؛ فكلاهما وجهان لعملة واحدة، ماديا ومعنويا.

ويقدم ابن نباتة نصيحة إلى الروم أن يتجنبوا مواجهة سيف الدولة، وأن يرغبوا عن لقائه، سواء أكان اللقاء في سهل من الأرض أو حزن؛ ففي مواجهته هلاكهم، وفي لقائه فناؤهم، وما ذلك إلا لأنه أسد هصور يفترس أعداءه، وليث جسور يلتهم أقرانه[1]:

إليكمْ بَني اليونانِ منّي نصيحةً منحتُكُموها والدِّيارُ دَكادِكُ
دَعوا الليثَ لا يَفْرِسْكُم الليثُ إنّهُ متى ما يُصرِّفْ نابَه فهو صائِكُ

لم تأتِ نصيحة ابن بناتة كما عبر عنها في أبياته تهديدا، ولم تحمل وعيدا، وإنما هى رسالة، يمنحها فضلا ويقدمها منة، وقد اعتمد في سبيل إقناعهم على تقديم الجملة الحالية (والدِّيارُ دَكادِكُ)، قبل النصيحة (دَعوا الليثَ)، وتجنبوه، فهى النصيحة مؤيدة من حال الديار الدكادك، وبالنتيجة المؤكدة (متى ما يُصرِّفْ نابَه فهو صائِكُ).

لقد كان سيف الدولة في الميدان صاحب صولة ومهارة وكانت حركاته وجولاته تبعث الثقة والإعجاب والطمأنينة في قلوب جنوده بقدر ما كانت تنزل الرعب والفزع في قلوب جنود أعدائه، ولم يكن القائد يدير المعركة من الصفوف الخلفية محوطا بالحراسة والرعاية، كما هو حادث في حروبنا المعاصرة، بل كان القائد أو الملك يتقدم جيشه بنفسه وهكذا كان يصنع سيف الدولة[2]

---

[1] الديوان١/ ٣٧٧، دكادك: أرض سهلة ليست ذات حزون.

[2] سيف الدولة الحمداني.. مملكة السيف ودولة الأقلام/ ١١٠.

وما من شيء يعوق سيف الدولة عن الوصول إلى أرض الروم، أو يحول دون قتالهم، والنيل منهم؛ السهول يعبرها، والجبال يسلكها، والدروب يقطعها، ليلا أو نهارا، صيفا أو شتاء، لا يمنعه الحر اللافح، أوالبرد القارس[١]:

تساوتِ الأرضُ فيها من تمازجه فالحَزْنُ كالسهلِ والغِيطانُ كالأكَمِ
لا يستطيعُ نهارُالصيفِ يسلكها وأنتَ تسلكُها في القرِّ والظُّلَمِ

وقد يستبدل البر بالنهر؛ فيقطع إلى الروم نهر الفرات، ولو استعصى عليه لرد السيل عنه، أما خيله فإنها -مع بكائها على مبارحة حلب- لسعيدة بغزو حصون الروم[٢]:

يُخوضها الفُراتَ فتىً يُلاقي بوجهِ الموتِ في الغمراتِ سُولا
ولو أنّ الفراتَ عَصى عليهِ لردّ السّيلَ عنه أنْ يَسيلا
فما ضحِكَتْ بحِصنِ الرّانِ حتى بكتْ حلبٌ ورجعتِ العَويلا

وما من معركة خاضها سيف الدولة مع الروم، أو غزوة غزاها إياهم إلا وأكثر فيهم الطعن، وأعمل فيهم القتل، ولا تنفك سماء المعركة تمطر بدمائهم، وأرض المعركة تفيض بجثثهم[٣]:

بأرضِ الرومِ نَعتَنِقُ المَواضي ونَمْتَهِدُ المُسوّمَةَ الفُحولا
ونُنشئُ من دمائِهم سَحابا تُكشِّفُ من قَساطِلِها نُحولا

ولا يُخشى على سيف الدولة أن يضل الطريق وهو يطوف في بلاد الروم، وكيف يضل من اتخذ الحسام دليلا، والسيف مرشدا[٤]:

وطوفَ في بلادِ الرومِ حتى توهّمناهُ قد ضَلّ السَبيلا

---

[١] الديوان١/ ٢٣٠.

[٢] الديوان١/ ٢٥٣- ٢٥٤، الران: احدى مدن أرمينية، معجم البلدان ٢/ ٧٤٠.

[٣] الديوان١/ ٢٥١، القسطل: الغبار.

[٤] الديوان١/ ٢٥٢.

وكيف يضِلُّ في سبلِ المَعالي فتىً جعلَ الحُسامَ له دَليلا

ويرسم الشاعر لوحة لإحدى معارك سيف الدولة مع الروم؛ ترى فيها الأمير الحمداني قد رتب جيشه، ونظم جنده، وأعد خيله ورجله، وخرج يطوي الصحاري، ويجتاز الفيافي، لا يعوقه قيظ، ولا يثنيه حر، وكأنه ولد للحرب، وأعد للنزال؛ وترى جموع الروم قد استبد بهم الخوف، وحل بهم الرعب، فهم لا يطيقون حربه، ولا يودون نزاله[1]:

رَمى بصدورِالخيلِ هاجرةَ الوَغى وللموتِ ظِلٌّ تبتنيهِ السّنابِكُ
يموتُ إذا ما قيلَ إنّكَ عائِشٌ ويَحْيا إذا ما قيلَ إنّكَ هالِكُ
فتى الحربِ ما للحربِ عندكَ بُغيةٌ إذا رَويتْ خِرْصانُها والبَوانِكُ
تَعُدُّ جموعُ الرومِ سلمَكَ مَعْرَكا ألا إنّ سِلمَ الغالبينَ مَعارِكُ

ومن الأحداث الجليلة التي توقف عندها ابن نباتة، أحداث معركة مرعش، يوم أن أغار سيف الدولة على (زبطرة) و(عرقة) و(ملطية) ونواحيها؛ فقتل وأحرق وسبى، وانثنى قافلا إلى درب موزار، فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدمستق فأوقع به وقتل صناديد رجاله، وعقب إلى بلدانه وقد تراجع من هرب منها فأعظم القتل وأكثر الغنائم، وقد عبر الفرات إلى بلد الروم، ولم يفعله أحد قبله، حتى أغار على بطن (هنزيط)، فلما رأى (فردس) بُعد مغزاه، وخلو بلاد الشام منه غزا نواحي أنطاكية؛ فأسرى سيف الدولة يطوي المراحل، لا ينتظر متأخرا، ولا يلوي على متقدم، حتى عارضه بمرعش؛ فأوقع به وهزمه، وقتل رءوس البطارقة، وأسر (قسطنطين بن الدمستق)، وأصابت (الدمستق) ضربة في وجهه[2].

---

[1] الديوان١/ ٣٧٤- ٣٧٥، الخرصان: الرماح، البوانك: الليوث.

[2] يتيمة الدهر ١/ ٣٠.

ويتوقف ابن نباتة أمام أحداث معركة مرعش، ويصور أسر جند سيف الدولة شقيق ملك الروم، حين تلاقى الجيشان، واقتتل الفرسان، وأنشبت المنية أظفارها، وفغر الموت فاه[١]:

أيَعرفُ ملكُ الرومِ وقعةَ مَرْعَشٍ وكفٌّ أخيهِ في الحديدِ وثيقُ
ويُنكِرُ يوما بالأحَيْدِبِ كذّبتْ بهِ البَيْضُ حَدَّ البيْضِ وهو صَدوقُ
به شرَقَتْ من خشيَةِ الموتِ بالخُصى صُدورٌ وفارت بالقُلوبِ حُلوقُ

لقد كانت وقائع سيف الدولة في عصاة العرب تكف بأسها، وتنزع لباسها، وتفل أنيابها، وتذل صعابها، وتكفي الرعية سوء آدابها، وغزواته تدرك من طاغية الروم الثار، وتحسم شرهم المثار، وتحسن في الإسلام الآثار[٢].

وها هو (نقفور)-أحد طغاة الروم- يتجرع الهزيمة أمام سيف الدولة، وليس أمامه إلا أن يلملم الجراح، ويجر العوالي، ويحاول الهروب، ويلجأ للفرار إلا أنه يتعثر في فراره؛ مما في جسمه من جروح كثيرة يتألم منها ولا يستطيع معها أن يفر سريعا، وما أشبهه حينئذ بحاطب الليل الذي أثقله الحطب فلا يستطيع السير، في صورة استمدها ابن نباتة من البيئة البدوية العربية[٣]:

و أفلتَ نَقْفورٌ يُرَقّعُ جِلْدَه وفيهِ لآثارِ السِّلاحِ خُروقُ
يَجُرّ العَوالي والسِّهامَ بجِسْمِهِ كمحتطبٍ للحِملِ ليسَ يُطيقُ

---

[١] الديوان١/ ١٩٦، مرعش مدينة بناها سيف الدولة سنة ٣٤١ وقد وقعت بينه وبين الدمستق معركة انتصر فيها سيف الدولة، معجم البلدان٤/٤٩٨، اللسان (رعش)، الأحيدب: جبل في بلاد التراك، البيض: السيوف.

[٢] يتيمة الدهر١/ ٢٠.

[٣] الديوان١/ ١٩٧، نقفور بن الفقاس بن الدمستق قائد الروم الذي طالت حروبه مع المسلمين وأهمها حروبه مع سيف الدولة، راجع زبدة الحلب ١/ ١٤١.

وهذا المعنى نظر فيه إلى قول عنترة[١]:

وَغادَرنَ نَضلَةَ في مَعرَكٍ يَجُرُّ الأَسِنَّةَ كَالمُحتَطِبْ

وسيف الدولة- دوما- مستعد للقائهم، مرحب بنزالهم، ما إن يدقون طبول الحرب، ويقرعون أجراس القتال، حتى تراه ملبيا نداءهم، مسرعا إلى قتالهم، يستقبلهم أحياء ويعيدهم صرعى، وما ظلمهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون[٢]:

إذا طلبتْ ملوكُهُم لدينا ذُحولَ الحَربِ زدْناهُم ذُحولا
إذا ما أرسَلوا جيْشا إليْنا رددْنا من دمائِهم رَسولا
يسيلُ إليهم فإذا أتاهُم رأوا فيه الجَماجمَ والخَصيلا
وقال لنا الزمانُ ظَلمتُموهُمْ فقلنا للزّمانِ دع الفُضولا
سَرى بالخيلِ يَمنعها المَخالي وتمنعُهُ التمهلَ والنُزُولا

إن سيف الدولة لا يعتدي على ملك أحد، فهو يسالم من يسالمه، ويهادن من يهادنه، ويمحق من يفكر في نزاله، فهم من يطلبون لقاءه؛ للأخذ بالثأر مما لحقهم سلفا، فما يجدون إلا المزيد من الدماء، قد زادهم جيش سيف الدولة (ذُحولا)، ولا عجب أن يعبر ابن نباتة عن ضعف ملوك الأعداء، وقلة حيلتهم بأن يجعل ملوكهم تطلب، وكأنهم يتسولون، الثأر من سيف الدولة (طلبتْ ملوكُهُم لدينا).

ثم يأتي البيت التالي في تقديم نفس الصورة لكن بمنظور آخر للبدء بالعدوان، وعلى الباغي تدور الدوائر، فيكرر صدر البيت السابق (إذا)، ولكن لا يطلبون هذه المرة، وإنما تلك الكرة هى العدوان الصريح (إذا ما أرسَلوا جيْشا إليْنا)، ليعقب نتاج فعالهم بنفس

---

[١] عنترة بن شداد: ديوان- بتحقيق وشرح عبد المنعم عبد الرءوف شلبي- تقديم إبراهيم الإبياري- المكتبة التجارية القاهرة-(د. ت)- ص ١٧.

[٢] الديوان١/ ٢٥٢.

ما طلبوا، فهم أرسلوا جيشا من الجند، فما يناسب الإرسال سوى (رد) ولكن أى رد، هو رد برسول من دماء رسلهم، (رَدَدْنا من دمائِهم رَسولا)، في صورة بلغت من الدقة مبلغا.

وما أشبه سيف الدولة بالسيف، الذي يألف القتال ويهوى النزال، ومن كان هذا دأبه فإنه يرغب عن الغمد، ويتخذ من هامات جند الروم مسكنا يسكن به، ومن رؤوسهم مقرا يقر فيه، ومن صدورهم معبرا لجنوده[1]:

ألا قُبورَكَ صَمْصاما مساكنهُ هامُ العِدا بَدَلَ الأجفانِ والقِرَبِ
ما تكربُ الحربُ أنْ يُستَلَّ مُنصله حتى يُمزّقَ قلبَ الجحفلِ اللّجِبِ
يَفري جماجِمَه والموتُ مفترشٌ من النّزالِ صدورَ القومِ للركبِ
مشغوفةٌ بغريبِ الهمِّ همّته يَرى السرورَ بعينِ الحزنِ والكَرَبِ

وقد ظل اسم سيف الدولة يتردد بين أبناء بيزنطة وعلى صفحات كتبهم كأعظم محارب، وأشجع فارس، وأقوى مقاتل، تجرأ على الجيوش البيزنطية، وما من كتاب ألف في القرن العاشر للميلاد إلا وبرز اسم سيف الدولة - لا أقول فيه بل- في كل صفحة من صفحاته، مشيرين إليه بـ: الدهر العربي الجاثم، والمحارب الوحيد الأعظم، والكافر الحمداني، ولم لا وهو الذي غزاهم أربعين غزوة، بعضها له وبعضها عليه.

وبعد ربع قرن من الزمان قضاها سيف الدولة في عراك مع أعدائه وبعد أن غزا الروم أربعين غزوة، أفل نجمه وأسلم روحه متأثرا بالفالج، وقيل بل عسر البول، وحنط جسده، وحمل تابوته إلى مسقط رأسه في ميافارقين فدفن بها، موسدا اللبنة التي جمعها من غبار معاركه، وذلك في آخر صفر سنة ٣٥٦ هـ.

---

[1] الديوان١/ ٣٩٩، القرب: من الشاكلة إلى مراق البطن.

٣- سيف الدولة الأديب:

لم تقف عظمة سيف الدولة عند شجاعته في ساحة الحرب، وانتصاراته الباهرة، والوقوف في وجه أعداء البلاد الإسلامية سدا منيعا، حال دون تقدمهم واحتلال الوطن الإسلامي وحسب، بل كانت له ناحية أخرى من العظمة لا تقل عن عظمته الحربية، فقد كان راعيا للأدب والفنون، وكانت ندوته التي كان يقيمها في قصره في فترات السلم حافلة بالعلماء والأدباء والشعراء والفلاسفة، الذين يقصدونه من كل صوب، ويلقون من كرمه ما يدفع بهم إلى تجويد صناعتهم الأدبية، بحيث كان هذا الأمير العظيم سببا مباشرًا من أسباب ارتقاء الشعر العربي واستحداث فنون جديدة، وسعت دائرته، بعد أن كانت محصورة في محيط تقليدي محدود[١].

ضم بلاطه الصفوة المنتقاة من شعراء العرب وأدبائهم في عصره، لذا لم يكن غريبا أن يطلق على عصره الطراز المذهب؛ لأن الفضلاء الذين كانوا عنده، والشعراء الذين مدحوه لم يأت مثلهم بعدهم، خطيبه ابن نباتة، ومعلمه ابن خالويه، وطباخه كشاجم، والخالديان كاتباه، والمتنبي والسلامي والوأواء والببغاء وغيرهم شعراؤه[٢]، ويذكر الغزولي أنه قد اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من الملوك، فكان خطيبه ابن نباتة الفارقي، ومعلمه ابن خالويه، ومطربه الفارابي، وطباخه كشاجم، وخزان كتبه الخالديان والصنوبري ومداحه المتنبي والسلامي والوأواء الدمشقي والببغاء والنامي وابن نباتة السعدي وغيرهم[٣].

---

(١) سيف الدولة الحمداني.. مملكة السيف ودولة الأقلام / ١٩٧.

(٢) الوافي بالوفيات ٢٠/ ٢٩٢٢.

(٣) الغزولي: مطالع البدور في منازل السرور– ط دار الوطن- الأولى- ١٣٩٩هـ- ١/ ٨.

وكانت حضرته مقصد الوفود، ومطلع الجود، وقبلة الآمال، ومحط الرحال، وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء، ويقال إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك – بعد الخلفاء- ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر[١].

وعلى هؤلاء أمطرت سحائب كرمه، وفاضت بحار جوده، يغدو عليه أحدهم فقيرا معدما خالي الوفاض إلا من شعره، فيروح سالما غانما مثقل البطن والظهر وفرا وشكرا.

روى صاحب اليتيمة أن أبا فراس كان يوما بين يدي سيف الدولة في نفر من ندمائه، فقال لهم سيف الدولة: أيكم يجيز قولي؟ وليس له إلا سيدي (يعني أبا فراس):

لك جسمي تعُله فَدَمِي لِمْ تحِله
لك من قلبي المكا نُ فَلِمْ لاَ تحُله

فارتجل أبو فراس:

أنا إن كنتُ مالكا فلي الأمرُ كُله

فاستحسنه سيف الدولة وأعطاه ضيعة بمنبج تغل ألفي دينار[٢].

ويذكر الثعالبي أن سيف الدولة كان أديبا شاعرا محبا لجيد الشعر، شديد الاهتزاز لما يمدح به[٣]، ومن شعره في صباه[٤]:

أُقبّلهُ على جَزَعٍ كَشرب الطائر الفَزِع
رأى ماء فأطمعهُ وخاف عو اقب الطمَعِ
وصادف فرصة فدنا ولمَ يلتَّذ بالجَزِع

---

[١] يتيمة الدهر ٢٠/١.

[٢] يتيمة الدهر ٢٤/١، وفيات الأعيان ٣ / ٤٠٣.

[٣] يتيمة الدهر ٢٠/١.

[٤] يتيمة الدهر ٣٣/١.

وله أبيات في وصف قوس قزح[١]:

وساقٍ صبيحٍ للصَّبوحِ دعوتُهُ فقام وفي أجفانهِ سِنةُ الغمِض
يطوفُ بكاساتٍ علينا كأنجُمٍ فمن بين مُنقضٍّ ومن غير منقض
وقد نشرتْ أيدي الجنوبِ مطارفا على الجودُكناً وهي خضرٌعلى الأرضِ
يطرّزها قوسُ السماءِ بحمرةٍ على أخضرٍ في أصفرٍ وسط مُبيضّ
كأذيالِ خَودٍ أقبلتْ في غلائلٍ مُصبَّغةٍ والبعضُ أقصرُ من بعضِ

وهذه الأبيات قدم لها الثعالبي بقوله: " وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته"[٢]، وعلق عليها قائلا: "وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها السوقة"[٣].

لذلك توقف ابن نباتة عند كلماته التي ينطق بها، وألفاظه التي تخرج من فمه، وعباراته التي تجري على لسانه، ورآها مما يعجز غيره عن تقليدها، أوالإتيان بمثلها[٤]:

وإنْ يكنْ لكَ نُطقٌ مثلُ نطقِهِمُ فليس مثلُ كلامِ اللهِ في الكُتبِ

كما أن الشعراء يستمدون مدائحهم وينهلون معانيهم من كلامه وبنات ألفاظه[٥]:

وما اعتاضَ مدحٌ أنتَ ربّ كلامِهِ نَداكَ مُسَدِّيةِ ومجدُكَ حائِكُ

ولا يخفى ما في هذين البيتين من إفراط شديد وغلو بعيد، لا سيما الأول منهما.

ومثلما كان لسيف الدولة إسهامات شعرية، كانت له كذلك آراء نقدية، فقد استنشد- يوما- أبا الطيب المتنبي قصيدته التي أولها:

عَلى قَدرِأَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المكارِمُ

---

[١] يتيمة الدهر ١/٣٢.

[٢] يتيمة الدهر ١/ ٣٢.

[٣] يتيمة الدهر ١/ ٣٢، وللمزيد من شعر سيف الدولة راجع اليتيمة١/ ٢٢- ٢٤.

[٤] الديوان١/ ٤٠١.

[٥] الديوان١/ ٣٧٨.

وكان معجبا بها، كثير الاستعادة لها؛ فاندفع أبو الطيب المتنبي ينشدها، فلما بلغ قوله فيها:

وقَفتَ وَما في المَوتِ شَكٌّ لِواقِفٍ ... كَأَنَّكَ في جَفنِ الرَدى وَهوَ نائِمُ
تَمُرُّ بِكَ الأَبطالُ كَلمى هَزيمَةً ... وَوَجهُكَ وَضّاحٌ وَثَغرُكَ باسِمُ

قال: قد انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتُقد على امرئ القيس بيتاه:

كَأَنِّيَ لَم أَركَبْ جَوادا لِلَذَّةٍ ... ولم أَتَبَطَّنْ كاعِبا ذاتَ خِلخالِ
ولم أَسبَأ الزِقَّ الرَويَّ وَلَم أَقُلْ ... لِخَيلِيَ كُرّي كَرَّةً بَعدَ إِجفالِ

وبيتاك لا يلتئم شطراهما كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين، وكان ينبغي لامرئ القيس أن يقول:

كَأَنِّيَ لَم أَركَبْ جَوادا وَلَم أَقُلْ ... لِخَيلِيَ كُرّي كَرَّةً بَعدَ إِجفالِ
ولم أَسبَإِ الزِقَّ الرَويَّ لِلَذَّةٍ ... ولم أَتَبَطَّنْ كاعِبا ذاتَ خِلخالِ

ولك أن تقول:

وقَفتَ وَما في المَوتِ شَكٌّ لِواقِفٍ ... وَوَجهُكَ وَضّاحٌ وَثَغرُكَ باسِمُ
تَمُرُّ بِكَ الأَبطالُ كَلمى هَزيمَةً ... كَأَنَّكَ في جَفنِ الرَدى وَهوَ نائِمُ [1]

وكان أبو بكر وأبو عثمان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة، فبعث إليهما مرة وصيفة ووصيفا ومع كل واحد منهما بدرة وتخت من ثياب مصر، فقال أحدهما من قصيدة طويلة وهي:

لمْ يَغْدُ شُكرُكَ في الخَلائِقِ مطلقا ... إلا ومالُكَ في النَّوالِ حَبيسُ
خَوَّلْتَنا شَمْسا وبَدْرا أَشْرَقَتْ ... بِهِما لَدَيْنا الظُّلْمَةُ الحِنْديسُ
رشأ أَتانا وهو حسنا يُوسُفٌ ... وغَزَالَةٌ هي بَهْجَةً بَلْقيسُ
وَكَسَوْتَنا مِمّا أَجادَتْ حَوْكَهُ ... مِصْرٌ وزَادَتْ حُسْنُهُ تِنّيسُ

[1] يتيمة الدهر ١/٢٤ – ٢٥.

فَغَدا لَنا من جودِكَ المَأْكُولُ والـ مَشْروبُ والمَنْكُوحُ والمَلْبوسُ

فقال له سيف الدولة: أحسنت إلا في لفظة المنكوح، فليست مما يخاطب بها الملوك، وهذا من عجيب نقده)[1].

وكما نشأ سيف الدولة على الإعجاب بالشعر الجميل، والتأليف الجيد، فإنه كان يعجب– أيضا- بالخط الجميل، ويجزل العطاء للخطاطين الماهرين، وكان لسيف الدولة خطاط خاص به من بني مقله هو عبد الله بن مقله أخو الوزير أبي علي محمد بن علي، وكان سيف الدولة لفرط إعجابه بصحائف ابن مقلة يصطحبها معه حتى حين يخرج للغزو.

وكان بقصر سيف الدولة مكتبة عظيمة تضم عيون الكتب لا سيما الكتب المؤلفة لأجله، والمهداة له كالأغاني وغيرها، وكان يقوم على خزانتها والعناية بها الصنوبري والخالديان.

هذا الشعر الذي يحسنه، والنقد الذي يتقنه، جعله مصدرا من مصادر الأدب يهبه من يشاء، ويمنحه من يريد، ودفع غيره إلى استمناحه إياه[2]:

لو كانَ شيءٌ من الأشياءِ يُطربُهُ كانت مَعاليهِ تحظى منه بالطّرَبِ

أجزلتَ من أدَبِ الدُنْيا عطيتَه فهبْ له نَشَبا يا واهبَ الأدَبِ

وليس سيف الدولة وحده من يحظى بهذه المكانة الأدبية، بل يشاركه فيها أبناء قومه من بني تغلب، أحفاد عمرو بن كلثوم، الذين إن نطقوا أتتهم المعاني أرسالا، وانثالت عليهم القوافي انثيالا[3]:

---

(١) يتيمة الدهر ١/ ٢٥ – ٢٦.

(٢) الديوان١/ ٣٩٩- ٤٠٠.

(٣) الديوان١/ ٣٩٣.

مِنَ التغلِبيينَ الأُلى لو رأيتَهم رأيتَ رجالا يَخلقونَ المَعاليا
إذا هطَلوا خِلتَ السَّحابَ سَواقِيا وإنْ نَطقوا خِلتَ الكلامَ قَوافِيا

لقد نشطت الحركة الأدبية في حلب في زمن سيف الدولة نشاطا كبيرا، وليس أدل على ذلك من عشرات القصائد التي أبدعها شعراء البلاط الحمداني، يوثقون بها حروبه مع الروم في الخارج، وأعماله وإصلاحاته في الداخل، كما يدل على ذلك المجالس الأدبية التي عقدت برعاية سيف الدولة وعلى عينه، والتي تبارى فيها الشعراء والنقاد والعلماء، كل ذلك حرك المياه الراكدة في بحر الأدب، وأجبر الشعراء على تجويد أشعارهم ليحوزوا قصب السبق، وليستأثروا بقلب سيف الدولة وعقله، وأيضا مكافأته.

٤- سيف الدولة الكريم:

يرى الشاعر سيف الدولة أحق الناس أن يوسم بالجود وينسب إلى الكرم، ولم لا وهو مستعد لأن يبذل مهجته ويهب غاليته، كما أن الدهر يقتبس من كرمه، والنيل ينهل من عطاياه، وهو يعلم الكرماء كيف يكون الإكرام، والأجواد متى يكون الجود[١]:

أحقّهم ببذلِ المالِ فينا فتىً يُمسي لمهجتهِ بَذولا
وأولاهم بأنْ يُسمى جَوادا فتىً يهَبُ الرّغائِبَ والعُقولا
وفضلا يَستفيدُ الدهرُ منهُ كريمَ الطّبعِ والخُلق الجَميلا
يرى النّيلَ المُحصّلَ منه وعدا وتُعجِلُهُ العَطايا أنْ يَقولا
يُصيّرُ كلَّ مِقدامٍ جَبانا ويجعلُ كلَّ مِعطاءٍ بَخيلا

وليست أيادي سيف الدولة وعطاياه تعد رافدا من روافد النيل فحسب، بل إنها- أيضا- تعد مصدرا يستمد منه الفرات على كثرة مائه، وامتداد طوله، واتساع عرضه[٢]:

---

[١] الديوان١/ ٢٥٩.

[٢] ٢٥٦- ٢٥٧، كركر: حصن قرب ملطية، معجم البلدان ٤/ ٢٦٢، تذرع الشيء: قدره بالذراع.

ولمّا حلّ كَركَرَ مُستَهلا يُضيفُ إلى الفراتِ نَداهُ نِيلا

ولا يقتصر عطاء سيف الدولة على المقربين منه، أو المخالطين له، أو المقيمين بجواره، بل يناله القاصي والداني، المقيم والضيف[١]:

ينالُ نوالَكم من شَطَّ عنكُمْ فكيفَ تضيعُ عندكم الضّيوفُ

ووصل الأمر إلى بيوت الروم فغدو يبغون كرمه، ويطلبون جوده، وكأن ملوك الروم يبخلون، وبأموالهم يضنون[٢]:

كأنّ حصونَهم نادتْ نداه أو اختارتْ لساكنِها بَديلا
فأعطَتهُ الذي تَحوي عَطاءً جَزيلا مثلَ ما يُعطى جَزيلا

وسيف الدولة لا يتأخر عن مكرمة، ولا يتكاسل عن منحة، ومن يطالع سرعته إلى العطاء، ويراقب بهجته بإجابة النداء، فإنه يحكم على ضوء البرق بالكسل[٣]:

نوالُهُ جعلَ الأرْزاقَ من قِبلي وعِزُّهُ صيّرَ الأيّامَ من خَولي
وما تمهلَ يوما في نَدى وردى إلاّ قضيتُ للمحِ البرقِ بالكَسَلِ

وفي هذه اللوحة تبرز الطبيعة كمصدر من مصادر إمداد الشاعر بصوره وخيالاته، حيث يستغل صورة البرق وما يمتاز به من سرعة فائقة ويقرنها إلى صورة سيف الدولة وهو يسرع إلى تقديم العطاء حال الرخاء، وإلى إجابة النداء حال العراك وهول اللقاء.

ويواصل الشاعر تصوير حال سيف الدولة في حالي الحرب والسلم، ففي الأولى يسقط على أعدائه سحائب قاتلة، ويرسل على منافسيه صواعق مهلكة، أما في حال السلم فإنه يعطي بلا حدود، ويهب ولا ينتظر المردود[٤]:

---

(١) الديوان١/ ٢٢٠-٢٢١، الحيف: الجور والظلم، شط: بعد.

(٢) الديوان١/٢٥٣.

(٣) الديوان١/ ٢٠٥.

(٤) الديوان١/ ٢٠٦، القلل جمع القلة وهي الجرة وقيل أعلى كل شيء.

كانتْ سحابُكَ فيهم كلَّ بارقةٍ حمراءَ تهطِلُ بالأيْدي وبالقُلَلِ
فاليومَ سُحبكَ فيهم كلُّ بارقةٍ غرّاءُ تهطِلُ بالأموالِ والحُلَلِ

وما من يوم تشرق شمسه حتى ترى يد الأمير ملطخة بالدماء، هذه الدماء إما أن تكون دماء عدوه الذي قضى عليه بسلاحه، وإما أن تكون دماء الفقر الذي قضى عليه بعطائه[١]:

تُريكَ بَنانُهُ في كلِّ يومٍ طِعانا مُحْيِيا ونَدى قَتولا
وفضلا يَستفيدُ الدهرُمنهُ كريمَ الطّبعِ والخُلق الجَميلا

ويلحظ شاعرنا تحلق الناس حول سيف الدولة رغبة في كرمه، وطمعا في جوده، وهو يمنح بلا سأم، ويعطي بلا ضجر، فلا عليه أن يلقي آماله بساحة جود ممدوحه، وكرم أميره، يستظل بظله، ويحيا في كنفه[٢]:

رأيتُ كريما يأكلُ الناسُ زادَهُ إذا سَئِموا أزوادَهُ سَئِمَ الطّوَى
فقلتُ سحابٌ أسْتَظِلُّ بظِلّه ولا أمترى غيرَالمودةِ والهَوى

وما دام هذا حال سيف الدولة فلا حرج على شاعرنا أن يطلب من أميره أن ينظر إليه بعين الكرم، فذلك يكفي لأن يرتفع من قعر التراب إلى سمك السحاب، وأن يرنو إليه بعين الجود، فذلك كفيل بإنقاذه من الحضيض الأوهد إلى السناء الأمجد، بعطاياه التي تعيي على العد، ولا تقف عند حد[٣]:

أعني على هذا الزّمانِ وأهلِهِ وإن كنتُ فيهِ حازمَ الرّأيِ حُوَّلا
وهبْ لي جسيما من مكارمِكَ التي تمثلنَ لي في عدةِ الرملِ أجْبُلا

(١) الديوان١/ ٢٥٨.
(٢) الديوان١/ ٢٤٢.
(٣) الديوان١/ ٣٦٤.

وما من شك أن سيف الدولة استجاب له ونفحه عطايا جعلته يفارق حياة المعوزين، وهبات سلكته في عداد الموسرين، هذه العطايا جعلته- من ناحية- يضجر من كثرتها ويتمنى لو بخل عليه سيف الدولة وتوقف عن منحه[١]:

قد جُدْتَ لي باللّها حتى ضجرتُ بها وكِدتُ من ضجَري أُثْني على البُخْلِ

ومن ناحية أخرى صيرته يعيش بلا أمل يأمله، أوهدف يسعى إلى تحقيقه[٢]:

لم يُبقِ جودُكَ لي شيئا أؤمّلُهُ تَركتني أصحبُ الدنيا بلا أملِ

والبيت الأخير من مبالغات ابن نباتة، وفيه نظرة إلى بيت المتنبي[٣]:

لَو كانَ ما تُعطِيهِمِ مِن قَبلِ أَن تُعطِيهِمِ لَم يَعرِفوا التَأميلا

وفي مجال المقارنة بين البيتين يرى ابن الشجري أن ابن نباتة كشف معنى بيت المتنبي وجاء في أحسن لفظ[٤]، بينما يرى القلقشندي أن كلام ابن نباتة أحسن في الصورة من كلام المتنبي وإن كان مأخوذا منه[٥].

ويشير ابن نباتة إلى ما عرف عن أجداد سيف الدولة من بني تغلب من حرصهم على إشعال النار في الصحراء ليلا ليهتدي بها السائرون، ويطعم عندها الجائعون، ويأمن في رحابها الخائفون[٦]:

ونارِ حريقٍ في السماءِ منيفةٍ كنار قرى في دارِ تغلِبَ توقَدُ
لسارى الدجى هدى وللضيف مطعم وللخائف المرتاع أمن ومرقَدُ

---

[١] الديوان١/ ٢٠٧، اللها: جمع لهوة: أفضل العطايا وأجزلها.

[٢] الديوان١/ ٢٠٨.

[٣] المتنبي: الديوان بشرح أبي البقاء العكبري- تح مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي- دار المعرفة لبنان- ٣/ ٢٥٩.

[٤] الأمالي الشجرية ٢/ ٣١٣.

[٥] القلقشندي: صبح الأعشى- الهيئة العامة لقصور الثقافة- سلسلة الذخائر(١٣٠)- ٢٠٠٤م. ١/ ٣١٥.

[٦] الديوان١/٥٤٣- ٥٤٤

وفي سبيل إبراز كرم أميره كان ابن نباتة يفرط في معانيه، ويغلو في مبانيه، وينسب إلى سيف الدولة ما لا يمكن حدوثه بحكم العقل والعادة، كأن يدعي أن سيف الدولة أجود من الدهر، فإذا كان الدهر يعطي الناس على قدر احتياجهم، فإن سيف الدولة يمنحهم فوق ما يحتاجون وأضعاف ما يطلبون، هذه العطايا صيرت شاعرنا أغنى من الغنى[١]:

بقيتَ ولا كانَ الزمانُ ولا بقى فنائِلُهُ بَدْءٌ ونَيْلُكَ مُنتَهى
قد أفنيتَ آمالي بجودِكَ والمُنى وجودتني حتى غنيتُ عن الغِنى
وصيرتَني من بعدِ ما كنتُ و اقفا أقولُ لدهري كلّما جاءَ هِنا

أو يدعي أن سيف الدولة هو الذي أبدع الكرم وأوجد الجود[٢]:

و أنتَ الذي لوْلاهُ ما عُرِفَ النّدى ولا كانتِ الدُنْيا ولا خُلِقَ الوَرى

أو أنه لو نافس الدهر في ميدان الكرم وحلبة الجود لفاقه[٣]:

أغَرَّإلى كفيهِ يَنتَسِبُ النّدى وصرفُ الرّدى لو نافسَ الدّهْرَفُضِّلا

وليس سيف الدولة من هواة جمع الأموال، بل يوزعها على الناس تكرما، ويفرقها بينهم تفضلا، يسهل بها عليهم أمور حياتهم، وويسر بها شئون دنياهم، فطعم المال في فمه لا يعدو طعم الحنظل[٤]:

فأقْسَمتُ لا تنفكُّ منّي قَصيدةٌ يَسُلُّ بها السّاري على الليلِ مُنْصُلا
إلى ملكٍ من تَغلِبَ ابنةِ وائِلٍ يَرى شُهْدةَ المالِ المجمّعِ حَنْظَلا
فإنّكَ ما ازدادَ الزمانُ تصعُّبا على الناسِ إلا ازددتَ فيه تَسَهُّلا

---

(١) الديوان١/ ٢٤٠ - ٢٤١.
(٢) الديوان١/ ٢٤١.
(٣) الديوان١/ ٣٦٠.
(٤) الديوان١/ ٣٦٠،

لأجل هذا كله لم نستغرب الإشادة بكرمه، والإشارة إلى سخائه من المعاصرين له، والمترجمين لحياته، والمؤرخين لعصره، ذكر ابن خالويه أن العرب تدعو سيف الدولة أبا الفيض لفيضه عليهم بالإحسان، وولما سار معه إلى ديار بكر سنة ٣٣٨ أقام يمير الناس على طبقاتهم مدة مقامه[١]، ورآه ابن كثير أحد الأمراء الشجعان والملوك الكثيري الإحسان... وكان كريما جوادا معطيا للجزيل[٢]، أما الثعالبي فذكر أن حضرته مقصد الوفود، ومطلع الجود، وقبلة الآمال، ومحط الرحال[٣].

٥- سيف الدولة الجميل:

توقف ابن نباتة غير مرة أمام جمال سيف الدولة وحسن خلقته، وبهاء طلعته، فالدنيا تستمد حسنها من حسنه، وتقتبس جمالها من جماله، كما أن الشمس تغار منه، والملوك يحسدونه[٤]:

تَزيدُ بحسنِهِ الدُنيا ضِياءً وأبصارُ الملوكِ بهِ كُلولا
تَناساهُ فتشأَى الشمسُ بعدا وتذكرهُ فتَبتدِرُ الذبولا
إذا ما جئْتَ والأملاكُ جمعا غدوتَ نَباهَةً وغَدَوْا خُمولا

ووجه سيف الدولة وإن بدا كوجوه الناس شكلا إلا أنه يخالفهم جوهرا، فكما أن كل أصفر ليس ذهبا، كذلك ليس كل وجه كوجه سيف الدولة[٥]:

فإنْ يكنْ لكَ وجهٌ مثلَ أوْجُهِهم عند العيانِ فإنّ الصُفرَكالذّهبِ

---

(١) أعيان الشيعة ٨/ ٢٧٥.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية- تح أحمد عبد الوهاب- دار الحديث القاهرة- الخامسة -١٩٩٨م-١١/ ٢٨١.

(٣) يتيمة الدهر ١/ ٢٠.

(٤) الديوان ١/ ٢٥٨.

(٥) الديوان ١/ ٤٠١.

وفي معرض تصويره لحسن آل حمدان وجمال خلقتهم يلجأ إلى الشمس والنجوم آيتي الحسن والجمال، ورمزي الرفعة والعلو، وما أشبه الحمدانيين بالشمس الساطعة نهارا، والنجوم اللامعة ليلا[١]:

أبى اللهُ إلاّ آلَ حمدانَ إنّهمْ غَواربُ سادتْ تغلِبا وحوارِكُ
همُ الشّمسُ في صدرِ النّهارِ ترفّعتْ وفي هامةِ الليلِ النّجومُ الشّوابِكُ

٦- سيف الدولة الحسيب النسيب:

يؤكد ابن نباتة على أن سيف الدولة عريق الأصل، كريم المحتد، وسليل أسرة عريقة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، أصولها ثابتة وفروعها في السماء[٢]:

فأنتَ من دوحةٍ أعْلى العُلُوُّ لها رأسٌ كما أصلُها في أسفَلِ السَّفَلِ

وسيف الدولة يزهو بنسبه، ويستغني به عن أنساب غيره، لذلك تشرف الدنيا بالانتماء له، وتزهو بالانتساب إليه[٣]:

أنتَ الذي تُنسَبُ الدُنْيا وعالمُها إلى عُلاه ولا يُعْزى إلى نسَبِ
حاشاكَ أنْ تدّعيكَ العُربُ واحدَها يا مَن ثَرى قدمَيهِ طينةُ العربِ

وكعادته يلجأ ابن نباتة إلى المبالغة وتجاوز الحد المعقول، فيدعي أن سيف الدولة يفوق الدهر مجدا ويعلوه نسبا، وعلى الدهر أن يعترف بهذه الحقيقة، وأن يقر لسيف الدولة وآبائه[٤]:

لا يهتدي الدّهْرُ قَترا في مسالكِه ولا يُدانيه في مجدٍ ولا حَسَبِ
خَرستَ يا دهرُ كيما لا تقولُ أجَلْ إنْ كنتَ مثلَ أبيه القَرم تنتَسِبِ

---

[١] الديوان ١/ ٣٧٧.
[٢] الديوان ١/ ٢٠٨.
[٣] الديوان ١/ ٤٠١.
[٤] الديوان ١/ ٤٠٠.

**** الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث نسجل النتائج الآتية:

- حظي الأمير سيف الدولة الحمداني بمكانة عالية ومنزلة رفيعة لدى خلفاء الدولة العباسية، فقد أطلقوا عليه الألقاب، وضربوا اسمه على الدراهم، وما أشبه مكانته لدى خلفاء الدولة العباسية بمكانة الحجاج بن يوسف لدى خلفاء الدولة الأموية.

- دارت معاني ابن نباتة السعدي التي صور بها ممدوحه الحمداني حول الأمير وصفاته، وحروبه وبطولاته، كما صورت كرمه وجوده، أدبه ونقده، حسنه وجماله، حسبه ونسبه.

- أبان شعر ابن نباتة ما يمتاز به سيف الدولة الأمير من قوة التحمل، والرأفة حال الرضا، والبطش عند الغضب، والهيبة، وقلة النوم، والسهر على مصالح الرعية، والنشاط، وبُعد الهمة.

- صور ابن نباتة السعدي في شعره بطولات سيف الدولة المحارب، وسجل أحداث كثير من معاركه مع الروم والتي وصل عددها إلى أربعين معركة على مدار ربع قرن، وعكس شعره أعمال سيف الدولة غير المسبوقة كعبور الفرات إلى بلد الروم، ولم يفعله أحد قبله، وأسر قسطنطين بن الدمستق، وإصابة الدمستق في وجهه، والاستيلاء على سرير الدمستق وكُرسيه، وغيرها.

- ظل اسم سيف الدولة يتردد بين أبناء بيزنطة وعلى صفحات كتبهم كأعظم محارب، وأشجع فارس، وأقوى مقاتل، تجرأ على الجيوش البيزنطية، وما من كتاب أُلف في بيزنطة في القرن العاشر الميلادي إلا وبرز فيه اسم سيف الدولة مشيرين إليه بـ: الدهر العربي الجاثم، والمحارب الوحيد الأعظم.

- كشفت أشعار ابن نباتة عن رعاية سيف الدولة للفنون والآداب، وتشجيعه الشعراء والأدباء، لذا أقبل عليه الشعراء من كل حدب وصوب، واجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر ما لم يجتمع بباب أحد من الملوك.

- تفانى ابن نباتة في تصوير كرم أميره، وكيف أنه هو الذي أبدع الكرم وأوجد الجود، وكشف عن أن الدهر يقتبس من كرمه، والنيل ينهل من عطاياه، وهو يُعلم الكرماء كيف يكون الإكرام، والأجواد متى يكون الجود، ولا يقتصر عطاؤه على المقربين منه، بل يناله القاصي والداني، المقيم والضيف.

- سيطرت على بعض معاني ابن نباتة مبالغة لا سقف لها، حيث جعل سيف الدولة يسبق إلى غايات كل فضيلة، ومن العجب أن الدهر لا يرى أدنى مبالغة فيما وصف به الشاعر أميره[1]:

سألتُ الدهرَعما قلتُ فيهِ فما قالتْ صروفُ الدهرِ لي لا

- استغل ابن نباتة- وهو يرسم صورة أميره الحمداني- إمكانات علم البيان من تشبيه واستعارة وكناية، كما استفاد من إمكانات علم البديع من تصريع وجناس وتصدير وتدبيج ومقابلة وغيرها.

- بعض معاني ابن نباتة في سيف الدولة ليست جديدة، بل اقتبسها من أشعار السابقين كعنترة بن شداد، ومروان بن أبي حفصة، والمتنبي وغيرهم.

---

[1] الديوان١/ ٢٥٩.

***** مراجع البحث:

١- ابـن الأثير: الكامـل في التـاريخ- تـح عبـد الله القاضـي- دار الكتـب العلميـة-الثانيـة- ١٤١٥هـ.

٢- الأصفهانيّ: الأغاني- تح إحسان عباس وآخران- دار صادر بيروت- الخامسة- ٢٠١٣م.

٣- البغـدادي: خزانـة الأدب ولـب لبـاب لسـان العـرب- تـح عبـد السـلام هـارون- مكتبـة الخانجي القاهرة- الرابعة - ١٩٩٧م.

٤- الثعـالبي: يتيمـة الـدهر في محاسـن أهل العصـر- حققـه وضبطه وشـرحه محمـد محيي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية لبنان- الأولى- ٢٠١٢م.

٥- الجـواهري: الفرائـد الغـوالي على شـواهد الأمـالي للسـيد المرتضـى- مطبعـة الآداب- ١٩٦٦م.

٦- حمدان عبد المجيد الكبيسي: القائد سيف الدولة الحمداني – دار الشئون الثقافية العامة - بغداد – ١٩٨٩م.

٧- أبو حيان التوحيدي- الإمتاع والمؤانسة- عُني به عبد الرحمن المصطاوي- دار المعرفة لبنان– الأولى- ٢٠٠٤م.

٨- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تح إحسان عباس- بيروت- ١٩٩٤م.

٩- درويش الجندي: الشعر في ظل سيف الدولة- مكتبة الأنجلو المصرية- الأولى- ١٩٥٩م.

١٠- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده- تح محمد محيي الدين عبد الحميد- دار الجيل بيروت- الخامسة- ١٩٨١م.

١١- الزركليّ: الأَعـلام- دار العلم للملايين بيروت- الخامسة عشرة - ٢٠٠٢م.

١٢- زكي المحاسني: شـعر الحـرب في أدب العـرب في العصـرين الأمـوي والعباسي إلى عهـد سيف الدولة – دار المعارف - الثانية - ١٩٧٠م.

١٣- سامي الكيالي: سيف الدولة وعصر الحمدانيين- دار المعارف - ١٩٥٩م.

١٤- الصفدي: الوافي بالوفيات- تح أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى- دار إحياء التراث العربي بيروت- الأولى- ٢٠٠٠م.

١٥- ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب- وضع حواشيه خليل المنصور- دار الكتب العلمية لبنان- الأولى- ١٩٩٦م.

١٦- عطية صالح الربيقي: الشعر السياسي في بلاط سيف الدولة- مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد- ٢٠١٨م.

١٧- ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- تح مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية- بيروت- ١٩٩٨م.

١٨- عنترة بن شداد: الديوان- بتحقيق وشرح عبد المنعم عبد الرءوف شلبي- تقديم إبراهيم الإبياري- المكتبة التجارية - مصر- (د. ت).

١٩- الغزولي: مطالع البدور في منازل السرور – ط دار الوطن- الأولى- ١٣٩٩هـ.

٢٠- أبو الفداء الحموي: المختصر في أخبار البشر- مكتبة المتنبي للطباعة والنشر- ١٩٩٨م.

٢١-القلقشندي: صبح الأعشى- الهيئة العامة لقصور الثقافة- سلسلة الذخائر(١٣٠)- ٢٠٠٤م.

٢٢- ابن كثير: البداية والنهاية- تح أحمد عبد الوهاب- دار الحديث القاهرة- الخامسة١٩٩٨م.

٢٣- المتنبي: الديوان بشرح أبي البقاء العكبري- تح مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي- دار المعرفة لبنان- (د. ت).

٢٤- مصطفى الشكعة: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين– مكتبة الأنجلو المصرية– ١٩٥٨م.

٢٥- _____ سيف الدولة الحمداني.. مملكة السيف ودولة الأقلام- الدار المصرية اللبنانية القاهرة- الثالثة - ٢٠٠٠م.

٢٦- ابن نباته السعدي: الديوان - دراسة وتحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي - وزارة الإعلام العراق- ١٩٧٧م.

٢٧- نبيلة إبراهيم: روميات المتنبي.. حلقة من الصلات الأدبية بين العرب والروم- دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع- ١٩٥٤م.

٢٨- وليد الأعظمي: أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران-مكتبة الرقيم بغداد-٢٠٠١م.

٢٩- اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان- دار الكتب
العلمية لبنان- الأولى – ١٩٩٧م.

٣٠- ياقوت الحموي: معجم البلدان- دار صادر بيروت- ١٩٧٧م.